ما يمتاز به
المنهج القرآني التربوي

يبقى لنا بعد أن تجولنا في رياض هذا المنهج القرآني التربوي يطيب لنا أن نلتمس مميزات هذا المنهج التي جعلته يفوق غير من المناهج.

١. هو منهج يدرك طبيعة النفس البشرية، وما تشمل عليه من خير وشر وفجور وتقوى، يقول تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس:٨:١٠] ويقول عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦]

نعم يدرك طبيعتها وما تنطوي عليه من خيرية وحب للناس وإشفاق على الضعيف.

ويعلم – أيضاً – ما تنطوي عليه شر يتمثل في الكيد والحسد والبغضاء والكراهية، وحب التعالي، والغرور.

لذلك يتعامل المنهج القرآني مع النفس من هذا المنطق فلا ينفك يهذب، ويعلم ويروض، لينزع ما فيها من سيء الصفات.

يعالج متئداً في تأن وروية، ويتدرج بالعلاج حتى يكون ناجعاً.

وانظر إلى هذا المنهج القويم إذ يذكر للإنسان المحرمات ويبرز له المحظورات ليبعده عنها، يقول تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ....﴾ [المائدة:٣]

ويقول تعالى:-

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام:١٥١]

وفي وصايا لقمان يحذر ابنه من التعالى والتكبر والاختيال والإعجاب بالنفس لأن ذلك يشين الإنسان وينفر منه الناس من حوله .

ولا تكاد تخلو سورة القرآن الكريم من تحذير من صفة سيئة أو من عمل مكروه ، كما لا تخلو من إرشاد أو دعوة إلى الخير.

وما ذلك إلا لأن المولى سبحانه وتعالى يضع لهذه النفس طرائق العلاج ووسائل الشفاء لما تنطوي عليه من شر.

٢. وهو منهج شامل . بمعنى أنه تناول في طياته كل مناحي الحياة ، وما بين الناس من معاملات ، وعلاقات وما على المرء من واجبات والتزامات وكذلك تناول الأسس التي تنبني عليها علاقة الحاكم بالمحكوم وما بين الدول من علاقات وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قول الله تعالى :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر:٢١]

كما بين أن هذا المنهج الشامل جاء لمصلحة البشر، وليبين لهم حدود كل شيء ويصل بهم إلى الصواب في الأمور التي يختلفون فيها ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل:٦٤]

إن مجال التربية القرآنية شامل ، إذ يتناول الإنسان وما يتعلق به من أمور بدنية وروحية ، كما يتناول البيئة المحيطة به من أرض وسماء وما فيهما من دواب وكائنات ومخلوقات .

شمول يجيب عن كل تساؤل ، ويضع الحل لكل استفسار وما ذلك إلا لأنه من عند الله ، فلا يعتريه نقص أو ضعف ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فُصِّلَت:٣]

فما جاء به هذا المنهج القويم أثبت صلاحيته لكل زمان ومكان ، وخاطب كل العقول والأفهام ، حتى في عصر التكنولوجيا والتقدم العلمي ، يقف العلماء

في دهشة وإعجاب لما يرونه ماثلاً أمامهم من آيات نزلت منذ أربعة عشر قرناً تؤكد شمولية وروعة محتواه .

٣. وهو منهج لاتشدد فيه ولا مغالاة . ويبدو ذلك في :-

- الدعوة إلى الإنفاق ، يحث على عدم التبذير ويحث على عدم التقصير ، وأن يتخذ الإنسان طريقاً وسطا :يقول تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان:٦٧]
- الدعوة إلى الاعتدال في السير وخفض الصوت ، يقول تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان:١٩]
- وفي الصلاة يأمر بأن يكون المسلم وسطا في صلاته يقول تعالى : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الإسراء:١١٠]
- ويدعو هذا المنهج القويم إلى العناية بالروح والجسد ، فدعا إلى ما يصلح جسد الإنسان ويبقيه سليما ، كما اهتم بالجانب الروحي وتهذيب الإنسان ، ولم يغلب جانباً على الآخر حتى تستقيم حياة الإنسان .

" إن اتباع الوسيطة في التشريع ينأى بالمسلم عن التطرف الجامح أو الإهمال المزري الذي يقصر عن تحقيق المصالح الشامله وبلوغ المقاصد في الأمور كلها ، وهو ما توصم به معظم التشريعات فمنها ما ينحو نحو الفردية المطلقة التي تكرس مصلحة الفرد وتنكر مصلحة الجماعة أو تتجاهلها ، ومنها ما يتجه إلى الجماعة المفرطة ، فتميت البواعث الفردية وتقتل المواهب الشخصية ، والأول

شأن المذهب الفردي ، والثاني شأن المذهب الاجتماعي ، والإسلام يتوسط بين المذهبين ، مع الاحتفاظ بخصوصية الإنسانية . . . وجملة القول : إنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدنيا معاً ".(١)

٤. وهو منهج يقوم على المساواة ، يساوي بين الناس جميعاً ، قويهم وضعيفهم ، فقيرهم وغنيهم ، يساوي بين الذكر والأنثى في الثواب والعمل الصالح ، ويجمعهم في بوتقة واحدة هي بوتقة الأخوة " إنما المؤمنون إخوة وقد أعلن رسول البشرية محمد- ﷺ - هذه المساواة في خطبته في حجة الوداع :

" أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا أحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ".

" إنما جمع الإسلام الديانات الأخرى وضمنها رسالته ، انطلاقاً من حقيقة أن مدارك الأفراد مختلفة ، وتوجهاتهم متباينة ، ومصالحهم متعارضة ، فأراد أن يجمعهم على التعاون ، وأن يسير بهم نحو التكامل ، وإذا كان ذلك حاصلاً بين أفراد المجتمع الواحد ، فهو أكثر وقوعاً بين الأمم والشعوب ، لكن التفكير الإسلامي قائم على حقيقة اجتماعية ، وهي أن الإنسان ولد ليعيش ، وما كان له أن يبلغ ذلك إلا بالتعاون مع أخيه الإنسان اختياراً أو إجباراً لحاجته إليه وضرورته للجماعة ، وافتقار الجماعة إليه " (٢)

١- من قيم التشريع الإسلامي ، أ . د محمد الشحات الجندي ص ٤١ .
٢- من قيم التشريع الإسلامي ، أ د . محمد الشحات الجندي ص ٩١ .

٥. وهو منهج ليس فيه تشدد بمعنى أنه يدعو إلى التيسير في كل أمور الحياة كل إنسان حسب إمكاناته وقدراته وقد نص على ذلك في مواضع كثيرة منها قوله تعالى :-

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ .... ﴾

[البقرة:٢٨٦]

وقوله تعالى :-

﴿.... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ .... ﴾ [البقرة:١٨٥]

ومن باب التيسير في العبادات لم يلزم الإنسان بالصلاة على حالة واحدة إنما يسر له فجعل للمريض كيفية يصلى بها وللمحارب كيفية يصلى بها ، حتى يؤدي ما عليه من فريضة كما يسر على الإنسان الذي يسهو في صلاته بأداء سجود السهو ، وكذلك الجمع بين الصلاتين والتقديم أو التأخير لمن كان مسافراً .

وفي مجال الحج جعله لمن استطاع إليه سبيلا كما جعل كثيراً من اليسر على المرء عند تأوية هذه الفريضة إذا قدم شيئاً على شيء أو نسي شيئاً .

وفي عبادة الصوم جعل القضاء لمن أدركه رمضان وهو مريض أو كان مسافراً ، كما جعل لمن أكل ناسياً في نهار رمضان أن يتم صومه .

وقد أكد المعصوم- ﷺ -هذا التيسير في حديثه " يسروا ولا تعسروا وبشروا وسكنوا ولا تنفروا "